خطبة بعنوان

((فضل القيام لا سيما في رمضان))(1)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد ه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها الناس..

يقول تعالى في محكم التنزيل: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّل * قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً }[المزَّمل:1-4] .

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: مَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ عَشْرَ سِنِينَ يَقُومُ اللَّيْلَ، كَمَا أَمَرَهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَقُومُونَ مَعَهُ، فَأَنْزَلَ الله عَلَيْهِ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ} فَخَفَّفَ الله تَعَالَى عَنْهُمْ بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ.

---

(1) *تخطب هذه الخطبة في الجمعة الثالثة من رمضان*

قال ابْن عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا} فَأَمَرَ الله نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِقِيَامِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا,فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ خَفَّفَ الله عَنْهُمْ وَرَحِمَهُمْ، فَأَنْزَلَ بَعْدَ هَذَا: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} فَوَسَّعَ الله - وَلَهُ الْحَمْدُ-وَلَمْ يُضَيِّقْ. اهـ

فانظر يا أيها المسلم إلى رحمة الله كيف خفف عن عباده, وقد كان قيام الليل واجباً, فكان يجب على العبد أن يصلي من الليل نصفه أو ثلثه,فخفف الله عنا ,فينبغي علينا أن نشكر الله على التيسير,ومن شكره,المحافظة على قيام الليل ,وذلك بقيام ما تيسر منه, فإن كثيرا من المسلمين لا يقومون في الليل إلا في رمضان ,وهؤلاء فوّتوا على أنفسهم خيرا كثيرا,لأن قيام الليل له فضائل عظيمة, كما سيأتي في ذكر فضائله.

قال المفسر البغوي رحمه الله: وَكَانَ قِيَامُ اللَّيْلِ فَرِيضَةً في الابتداء ثم بين قَدْرَهُ فَقَالَ: "نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا" إلى الثلث. "أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً" أَوْ زِدْ عَلَيْهِ، عَلَى النِّصْفِ إِلَى الثُّلُثَيْنِ، خَيَّرَهُ بَيْنَ هَذِهِ المنازل، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَقُومُونَ عَلَى هَذِهِ المقَادِيرِ، وَكَانَ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان، فكان يَقُومُ حَتَّى يُصْبِحَ مَخَافَةَ أَنْ لَا يَحْفَظَ الْقَدْرَ الْوَاجِبَ، وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ فَرَحِمَهُمُ الله وَخَفَّفَ عَنْهُمْ وَنَسَخَهَا بقوله: "فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى" [المزمل: 20] الْآيَةَ، فَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِ السُّورَةِ وآخرها سنة. اهـ. ثم ذكر سندا إلى عائشة رضي الله عنها بهذا المعنى.

فالحاصل أن قيام الليل كان واجبا فصار مستحبا, لكنه صفة الصالحين ودأب الأنبياء والمرسلين وقربة إلى رب العالمين ونور على وجوه المؤمنين ومفزع الخائفين.

قال سبحانه وتعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَاب}[الزُّمَر:9].

وقال سبحانه في سياق المدح لعبادالرحمن: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}[الفرقان:64] .

ووصفهم بأنهم ساجدين راكعين مسبحين بحمده ,وأنهم يتركون أماكن النوم والراحة تهجدا لربهم سبحانه وتعالى قال تعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون * تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون }[السجدة:15-16].

ثم بين ما أعد لهم في الجنة, وما أخفى لهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال سبحانه: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون}[السجدة:17] .

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضَاجِعِ} أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى... فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.اهـ.

ومن فضائل قيام الليل أن الله يكفر به السيئات ويرفع به الدرجات ويقي به العبد من الآثام والمهلكات ,وهو دأب الصالحين يتقربون به إلى رب العالمين.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنّه قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ".

وقيام الليل عز المؤمن وشرفه. فقد روى الطبراني عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍرضي الله عنه قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَل ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ».

ومن فضائل قيام الليل ياعباد الله : أنه من أسباب دخول الجنة .فقد روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ".

وقيام الليل هو أفضل الصلاة بعد الفريضة. فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ» .

ويزيد أجر القيام في شهر رمضان لفضيلة هذا الشهر, ولما اختصه الله بخصائص كثيرة, ويكون أفضل في العشر الأواخرمن رمضان , ويكون أفضل في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والتي يكون قيامها خير من قيام ألف شهر.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وشروط المغفرة هنا أن يقومه إيمانا واحتسابا :أي بنية وعزيمة وإخلاص راجيا ثوابه من الله سبحانه وتعالى مصدقا بمشروعيته منشرحاً به صدره طيبةً به نفسه.

ويستحب في قيام الليل الإطالة في القيام والركوع والسجود ,والسنة في عدد الركعات إحدى عشرة ركعة, لما روى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍرضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ» أي: طول القيام.

قال الإمام النووي رحمه الله: المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت. اهـ.

وروى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قالت: «مَا كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا».

أي: لكمال حسنهن وطولهن فهن مستغنيات عن السؤال عن وصفهن فقد كان عليه الصلاة والسلام يطيل فيهن ويقرأ مترسلا ويطيل الركوع والسجود كما سيأتي قريبا في صفة قيام النبي صلى الله عليه وسلم.

ويستحب الاستمرارفي القيام مع الإمام حتى ينصرف من الصلاة, فإن ذلك كقيام ليلة, فقدروى أبو داود عن أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِىَ سَبْعٌ فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ فَقَالَ « إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ ».وفي رواية عند الترمذي:" كتب له قيام ليلة".

وأفضل القيام هو التهجد في الثلث الآخر من الليل ,وهو وقت النزول الإلـهي, ويشرع القيام في أي ساعة من الليل فقدقام النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أناء الليل,في أوله ووسطه وآخره.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ».

لكن يستحب أن يكون من آخر الليل قال تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}[الإسراء:79] .

قال المفسر الطبري وابن كثير: التهجد هو التيقظ بعد النوم.

وروى الإمام مسلم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِاللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ». وقَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: مَحْضُورَةٌ.

ومعنى مشهودة :أي :محضورة ,تحضرها الملائكة.

وروى الإمام مسلم رحمه الله عن عَائِشَة رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيُحْيِي آخِرَهُ».

ويستحب للعبد أن يصلي القيام في بيته إلا في رمضان فإنه يشرع صلاة القيام في المسجد جماعة لفعل النبي صلى ا لله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه, فصارت صلاة التراويح والقيام سنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ,وإنما تركها النبي صلى الله عليه وسلم جماعة في المسجد في آخر أمره؛ خشية أن تفرض عليهم فيعجزون عنها, فلما توفي عليه الصلاة والسلام وانقطع الوحي وأكمل الله الدين وانقضى التشريع وأُمن فرضيتها, أحياها عمر رضي الله عنه في المسجد جماعة, فأحيا سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو مبين في صحيح البخاري.

فلا تعجز أيها المسلم عن هذه العبادة العظيمة ولا تتكاسل عنها فإن الشيطان يسعى إلى تثبيط الناس عنها بمكره ووسائله الخبيثة فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ».

بمعنى أنه يثقِّل عليه نومه فإن قام وذكر الله وتوضأ وصلى انحلت تلك العقد وإلا صار حاله كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خبيث النفس كسلان ثقيلا مكتئبا ملاما، بل ربما بال الشيطان في أذنيه.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَقَالَ: «بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ».

ومعنى بال في أذنيه: قال بعض أهل العلم: هو البول على ا لحقيقة. وقال بعضهم: بل أذلَّه وأفسده واستعلى عليه وخدعه ,ذكره النووي.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى لامرئ من الشر أن يبول الشيطان في أذنه.

فهذا الذي نام حتى أصبح لم يصل من الليل بال الشيطان في أذنه ,فكيف بالذي لم يصلِ صلاة الفجر؟نسأل الله العافية.

فنعوذ بالله من تسلط الشيطان ونعوذ بالله من مكره وكيده وهمزه ونفخه ونفثه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه ,والشكر له على توفيقه وامتنانه, وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه, وأصلي وأسلم على نبيه الداعي إلى رضوانه ,وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فبعد أن عرفنا شيئا من فضائل قيام الليل وما أعد الله للقائمين ,نحب أن نعرف كيفية قيام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم,لنقتدي به ,فهو قدوتنا وأسوتنا وخير الهدي هديه.

كيف كان قيام نبينا صلى الله عليه وسلم؟ وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر, وهو سيد الناس وخيرتهم ,وهو صاحب الشفاعة العظمى, وصاحب لواء الحمد, وهو صاحب الوسيلة الرفيعة في الجنة ,وأول من يدخل الجنة, لا يفتح لأحد قبله ,ومع هذا كان يقوم الليل حتى تشققت وتورمت قدماه من طول القيام عليه الصلاة والسلام .

فقد روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا "فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ».

إنه لما عرف نعمة الله عليه عظم شكره لله وقدر الله حق قدره , ولما كان أخشى الناس وأتقاهم لله عرف قدر العبادة ,وكثرت عبادته صلى الله عليه وسلم ,فقد بات ليلة يصلي بآية يرددها يركع بها ويسجد حتى طلع الفجر.

فقد روى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلة بآية يرددها حتى أصبح وهي {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[المائدة:118] بها يركع وبها يسجد وبها يدعوا فلما أصبح قال له أبو ذر رضي الله عنه يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها وتدعوا

بها وقد علمك الله القرآن كله لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه قال:" إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئا" .

فقد كان عليه الصلاة والسلام رحيما بأمته, كان يهمه أمرهم ويدعو لهم في صلاته حتى وعده الله سبحانه وتعالى أن لا يخزيه في أمته.

وكان يصلي ويقرأ ويدعوا ويبكي, لما روى ابن حبان عَنْ عَطَاءٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها... فقَالَ بن عُمَيْرٍ أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ "يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي" قُلْتُ وَالله إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا يسرَّكَ قَالَتْ فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ يَا رَسُولَ الله لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيات لأولي الألباب} الآية كلها [آل عمران: 190].

وكان إذا فاته قيام الليل لعذر قضاه في النهار, فقد روى الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ، أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً».

فيشرع قضاء القيام لمن فاته لهذا الحديث.

وكان صلى الله عليه وسلم يطيل في قيامه وقراءته وركوعه وسجوده ويدعو ويسبح ويستغفر ويقرأ بتؤده وتدبر, فقد روى الإمام مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ»، قُلْنَا: وَمَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَقْعُدَ وَأَذَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أي: همَّ أن يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا لكن تأدبا معه لم يجلس, علما بأنه يجوز الصلاة جلوسا مع الإمام في صلاة الليل.

فيستفاد من هذا الحديث تأدب المأموم مع الإمام وعدم مخالفته والجدال والخصام معه إذا أطال,أو عمل بالسنة ,ومن تعب أو عجز فله أن يصلي جالساً.

قال النووي رحمه الله: فِيهِ أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وأن لا يُخَالَفُوا بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَرَامًا وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا شَقَّ عَلَى الْمُقْتَدِي فِي فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ الْقِيَامُ وَعَجَزَ عَنْهُ جَازَ لَهُ الْقُعُودُ وَإِنَّمَا لَمْ يقعد بن مَسْعُودٍ لِلتَّأَدُّبِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ جَوَازُ الِاقْتِدَاءِ فِي غَيْرِ المكْتُوبَاتِ وفيه استحباب تطويل صلاة الليل. اهـ

هذه مقتطفات من قيام النبي صلى الله عليه وسلم ,وأما في رمضان فقد كان يجتهد فيه أكثر من غيره ويجتهد في العشر الأواخر أكثر من غيرها.

فقد روى الإمام مسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ».

فكان يحيي الليل بالعبادة ,ويوقظ أهله لصلاة الليل, ويعتزل النساء ,ويشمر في العبادة أكثر من عادته.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ».

فهذه هي عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم, أفلا تقتدي به أمته؟.فإن الله سبحانه يقول في كتابه الكريم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا}[الأحزاب:21] .

فمن أراد القرب من الله ومرافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم, فليكثر من الصلاة ,لا سيما النافلة .

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ ».

ويزداد فضل السجود في ثلث الليل الآخر.

فقد روى الترمذي عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ:" أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ الله فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُن".

والقرب هنا هو قرب معية , أي: يكون الله معه بنصره وتأييده ولطفه وإجابة دعائه.

ومن فضائل الصلاة ـ لا سيما قيام الليل ـ أن المكثر منها والمحافظ عليها يحظى بمرافقة النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى مسلم عن رَبِيعَة بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ:

أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». أي بكثرة الصلاة.

وعبر عن الصلاة بالسجود من باب التعبير عن الكل بالجزء ,و لفضل السجود فإنه أشرف ركن في الصلاة لحيث وأن العبد يمرغ أشرف عضوٍ فيه وهو وجهه لله رب العالمين ,ويعبر عن الركعة بالسجدة ,ويدخل في كثرة السجود النوافل والفرائض.

فنسأل الله العظيم أن يتوفانا ساجدين ,وأن يبعثنا ساجدين, وأن يجعل الصلاة قرة أعيننا,وأن يعيننا على طاعته و ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يجعلنا من رفقاء نبيه صلى الله عليه وسلم في الجنة.

اللهم أعنا على الصلاة والصيام والقيام وتلاوة القرآن برحمتك يا أرحم الراحمين.